التراث العربي
سلسلة تصدرها وزارة الارشاد والأنباء
في الكويت
- ٨ -

شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري

حققه وقدم له
الدكتور
إحسان عباس
الأستاذ المشارك في الجامعة الأمريكية ببيروت

الكويت ١٩٦٢

التراث العربي

سلسلة تصدرها وزارة الارشاد والأنباء
في الكويت

-٨-

شرح ديوان
لبيد بن ربيعة العامري

حققه وقدم له

الدكتور
احسان عباس

الأستاذ المشارك في الجامعة الأمريكية ببيروت

الكويت ١٩٦٢

تصدير

للأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد

الشعر الجاهلي أساس الأدب العربي كله ، وعنوان فحولته وأصالته . شغل به العلماء والأدباء من القُدامى وما زال يشغل المُحْدَثين . ولن تستطيع أن تنفذ إلى عبقرية العربي إذا لم تحط بشعره القديم علماً . ولقد وصل إلينا هذا الشعر منحولاً أو مملوءاً بالتصحيف والتحريف . وكان المستشرقون قد سبقوا إلى إخراج دواوين الشعراء الجاهليين قبلنا منذ القرن الماضي . وكان حقاً علينا إخراجُها والعناية بها ودراستها منذ بعيد ، غير أننا لم نفعل ذلك إلاَ متأخرين ، عندما أحسسنا أن الواجب القومي يدعو إلى ذلك .

ولبيد بن ربيعة العامري من أضخم الجاهليين شعراً ، وأطولهم حياة ، وأكثرهم فحولة . وكان لا بد من العناية بشعره ونشره كاملاً صحيحاً بعد أن نشر بعضُه . لأنه أنموذج حيّ أصيل للأدب الجاهلي . فلما تصدى لهذا العمل صديقنا الدكتور إحسان عباس ، وتعب فيه وجهد ، ودعوناه ملحّين إلى إخراجه في سلسلة التراث العربي ، بعد أن أصبحت مجمعاً للنصوص الأصيلة الثمينة من تراثنا . فأجاب مشكوراً .

لقد اقتحم الدكتور عبّاس الطريق إلى نشر المخطوطات منذ سنين . فأخرج للناس رسائل ابن حزم ، وديوان الرصافي البلنسي ، وديوان ابن حمديس ، وشارك بعض الأساتذة في نشر الخريدة للأصبهاني ، وجوامع السيرة لابن حزم ، وفصل المقال للبكري . وهو أوسع المشتغلين بتراثنا العربي القديم من إخواننا

الفلسطينيين — ردّهم الله إلى بلادهم معزّزين مكرمين — أقول إنه من أوسعهم علماً ، وأكثرهم تتبعاً ، وسيلمس القارئ مدى جهده الكبير الذى بذله فى تحقيق هذا الديوان — معتمداً على نشراته السابقة ، وما عثر عليه من مخطوطات قديمة حفظتها خزائن القاهرة واستامبول . ومثل هذا الديوان خير محك للعلماء ، وأحسن دليل على جهدهم .

فالثناء منا على جهد الدكتور عباس القيم ، والشكر الوافر لوزارة الإرشاد والأنباء الكويتية التى كم أغنت نتاجنا الحديث بروائع تراثنا القديم .

بيروت :   صلاح الدين المنجد

مقدمة

- ١ -

تمهيد عام

تاريخ القرن السادس في منطقة نجد يكاد أن يكون تاريخ الأبطال أبناء المنجبات . والمنجبة هي من ولدت أكثر من ثلاثة بنين أشراف : في تميم كانت مارية التي ولدت لقيطاً وحاجباً وعلقمة أبناء زرارة ، وفي عبس فاطمة الأنمارية أم الكملة : الربيع الكامل وقيس الحفاظ وعمارة الوهاب وأنس الفوارس ؛ وفي بنى جعفر – قوم لبيد – ثلاث من المنجبات هن : خبية الغنوية أم خالد الأصبغ ومالك الأخرم وربيعة الأحوص ، وأم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء وهى أم ملاعب الأسنة وطفيل فارس قرزل وربيعة ربيع المقترين – والد لبيد – ومعاوية معوّد الحكماء وسلمى نزّال المضيق ؛ وأنيسة بنت الوحيد أم عوف وشريح وعمرو أبناء الأحوص . وفي بنى الحريش أقرباء الجعفريين : هالة أم الذادة الذين غلبوا خثعم يوم المسعط أو جبيل الصباح ؛ وفي بنى ذبيان أنجبت زوج بدر بن عمرو حذيفة الذى لقب « ربّ معد » وإخوته حملاً ومالكاً وربيعة والحارث . وعلى هؤلاء يدور تاريخ هذه الفترة وتدور الأيام بين أكبر القبائل الشرقية والوسطى في الجزيرة .

فإذا أضفت إلى هذه الصورة تلك الزعامات في الأطراف وتذكرت سادة مكة والحيرة وملوك كندة أصحاب هجر وما والاها والزعامة الغسانية في الشمال وسيادة بنى حنيفة باليمامة (أما اليمن فكانت تحت السيادة الحبشية) وجدت أنه ليس هناك من تفاوت بعيد في مقدار السيادة بين الوسط والأطراف إلا اختلافاً يسيراً في مدى البداوة عند هؤلاء وهؤلاء . ولكن المستعرض لهذه

السيادات المتعددة يهوله مبلغ ما كانت تعج به الجزيرة من رءوس ، حظها من الشهرة ليس موقوفاً على الشجاعة الفردية فحسب بل على الرأى والتجربة ، ومعنى ذلك أن الجزيرة كانت تقدم أقوى الشخصيات وأصلبها في تاريخها ، ولكن الحرب التى كانت أتوناً مستعراً على الدوام ، كانت تبتلع كثيراً من هذه الشخصيات الجبارة التى تنبتها الجزيرة فتحسن إنباتها ثم تأتى الحرب فتحصدها وتمعن في الحصاد . وكانت الحرب تثور لشيء أو للاشيء ، حتى أولئك الحكام النظاميون في الأطراف كان يكفى لإغراء الواحد منهم أن يقال له : هل لك في نعمٍ وسبى ، حتى يجرد كتيبة من الوضائع والصنائع في سبيل ذلك .

وفي هذه الصفحة من التاريخ كانت قيمة القبائل المتوسطة في نظر الحكومات النظامية ، تعتمد إلى حد كبير على أهمية الطرق التجارية التى تخترق الجزيرة من الغرب إلى الشرق ، ولذلك كانت هذه القبائل معرضاً لأطماع اليمن حيناً ولأطماع الحيرة حيناً آخر ، وهى قد مارست عهدين من التبعية أولهما لليمن وثانيهما للحيرة ، ووضوح هذه الحقيقة يفسّر كثيراً من الحروب التى كانت تشارك فيها ، حيناً ضد الشرق وحيناً ضد الجنوب . غير أن هذا التاريخ غامض كثيراً ، غموض الحياة التجارية نفسها خلال الجزيرة ، ونحن لا نعرف معرفة واضحة متى كانت تلك الطريق ذات أهمية كبيرة في الحياة التجارية . صحيح إن لدينا من الأخبار ما يشير إلى سير القوافل من الشرق في خفارة بعض الأشخاص ، كما حدث في إجازة لطيمة النعمان التى جرّتْ حروب الفجار ، ولكن لدينا ايضاً من الأخبار ما يروى أن كل تاجر يخرج من اليمن والحجاز كان يتخفر بقريش ، ما دامت التجارة في بلاد مضر ، وأن قريشاً حالفت تميماً وأسداً من أجل أن توسع حدود تلك الخفارة . فإذا ذهبت التجارة في طريق العراق أصبحت في خفارة بنى عمرو بن مرثد من بنى قيس بن ثعلبة وهى حماية تحترمها ربيعة جميعاً ، ولكن متى كان ذلك ؟ وأين موقف قبيلة عامر من هذا ؟ وهل هناك من منافسة بين شرق الجزيرة وغربها كما كانت المنافسة بين سيادة الحيرة وسيادة اليمن ؟ أسئلة تصعب الإجابة عنها . ولكنا نستطيع أن نفترض — غير مبعدين عن الصواب — أن القبائل المتوسطة بعامة وقبيلة عامر

بخاصة كانت تربطها مصالح تجارية بسوق عكاظ ومصالح أخرى بالمشقر في هجر وأنها كانت تتردد بين السوقين .

ولا بد أن نشير إلى أن سلعة من السلع كانت هامة جداً لهؤلاء الساكنين في الوسط ، تلك هى الأسلحة الحربية . وعلينا ألا نغالى في تصور ما كان يمكن أن يحرزه هؤلاء البدو من عتاد لغلائه وندرته . فكان الواحد منهم يسافر إلى الحواضر في طلب درع أو سيف أو رمح ، ولما نهض قيس بن زهير العبسى للطلب بثأر أبيه ذهب إلى أحيحة بن الجلاح في المدينة يطلب إليه أن يبيعه درعا ، فأهداه واحدة كانت سبباً من أسباب النفور بينه وبين الربيع بن زياد إذ وجد هذا الثانى فيها شيئا خلاباً لا عهد له بمثله . ولما كان عامر بن الطفيل يعد العدة لغزو إحدى القبائل اشترى من بنى نمير أربعين رمحاً بأربعين بكرة . فلم تكن الأسلحة والأعتدة شيئا رخيصاً وافراً ولكنها كانت مما يغالى به تجارها ويعرفون قيمته في ظروف خاصة .

ولا ريب في أنه لم تكن لدى أى قبيلة من تلك القبائل سياسة مرسومة توجه علاقات الصداقة والجوار ، بل كانت سياستها خاضعة لتقلبات الأحوال نفسها. وليست تخضع القبائل إلا لقانونين صارمين هما قانون الثأر وقانون الحلف . وكلاهما يعتمد على المروءة أكثر مما يعتمد على الدهاء والمصلحة . فالقبيلة تجير بدافع من المروءة وتثأر للفرد من الجماعة كلها ، وفي سبيل الثأر تستبيح الوحشية والأخذ على غرة ، ولا يعيب أبطالها ما يعتلج في نفوسهم من شهوات يرتفع عنها السادة ، ولا تعيّر القبيلة أبطالها بالفرار من الحرب إذا يئست من الانتصار ، لأن النجاة والاستعداد لحرب جديدة أجدى عليها من فقدان أبطالها . وإنما الذى يعير بالفرار هو العدوّ ؛ ولو كان الفرار عاراً محضاً لسقط شأن طفيل بن مالك فارس قرزل ، ولتبددت زعامة عامر بن الطفيل الذى فرّ في أربع معارك أو أكثر . وإذا كان الفرار عاراً فالأسر أشد منه ، والنجاة من الأسر أمر هام لأنها نجاة من العار المعنوى ومن الفدية المادية .

وكانت القبائل المتوسطة على ما تردده من معانى العزة والشهامة والقـــوة ، تشرف كثيراً إذا وجد أفرادها الحظوة لدى الحكومات النظامية كحكومة اليمن والحيرة وبصرى ، وتجد في التشريف الذى يدركها موطنا للفخر والاعتزاز ، ولهــذا التشريف صور منهــا الردافة والآكال — وهما مما يفتخر به لبيد — والآكال نوع من القطائع — والمشارفة ولاية الجباية عــلى الأرياف ومــا أشبه ، وهى مصدراعتزاز في قول لبيد : « وشارف في قرى الأرياف خالى ». وهنالك الوفود التى تجــد الإكرام والعطاء في بلاطات الملوك ، وتجــد الحفاوة بخاصة في المجالس الصحراوية التى كان يعقدها صاحب الحيرة أثنــاء تبديه ، وتقام فيها الأســواق ويستعرض فيها المنذر كتيبتيه ، ويستمع إلى الشــعراء والخطباء يتفاخرون ويتنافرون . ولكن هذه الموالاة لأصحاب السلطان لم تكن تجب الطمع من نفوس البدو أو تقضى على شهوتهم لتملك الإبل العصافير التى يملكها النعمان ، فهم يغيرون عليها وينهبونها كما يغيرون على إبل القبائل المعادية ، بل قد يسبون المتجردة ، زوج النعمان ، نفسها ، ويعتدون على تجارته ولطائمه ويتناهبونها فيما بينهم .

— ٢ —

قبيلة عامر بين القبائل

قبل الأخذ في ذكر شيء من تاريخ هذه القبيلة أحب أن أذكر القارئ بمجموعة من الحقائق البسيطة ، وفي مقدمتها أن ما يعنينى من هذا التاريخ هو ما يسعف على فهم شعر لبيد وشخصيته وموقفه من أحداث قبيلته ، وأن مصادرنا عن هذا التاريخ مضطربة لا تخضع خضوعاً مباشراً للتدرج الزمنىّ ، فحيناً نسمع أن بنى عامر كانوا لقاحاً لا يدينون للملوك وحيناً آخر نسمع النعمان يقول لعصيمة بن سنان وقد أجار بعض العامريين « ابعث إلىّ بعبيدى » (١) . وهناك حقيقــة أخرى هامة وهى أن قبائل بنى عامر كثيرة متعددة ، وقد ينفرد بعضها بالحرب

(١) المحبر : ٣٥٤

والمحالفة دون بعضها الآخر ، ولكن المصادر كثيراً ما تهمل هذا التمييز فيقع الاضطراب . فهذه المصادر تحدثنا عن الأيام حديثاً لا أراه بعيداً عن الصواب ولكن من الصعب أن نقيم من الروايات تاريخاً مضبوطاً متسلسلا . وتحدثنا المصادر أن واحداً قال يصف بنى عامر « عيون ظباء وأعجاز نســاء » فأى فرع من بنى عامر يصف ؟ وتحدثنا أنه كان لعامر في الحرب شعار واحد هو « يا جعد الوبر » وأن نميراً في الإسلام هجرت هذا الشعار وجعلت شــعارها « يا خضراء » فهل كان هذا الشعار عاماً حقاً في الجاهلية للقبيلة كلها ؟ لـكل هذا أرى أن ما أكتبه في هذا الفصل لا يعدو أن يكون ملاحظ أقيدها ، حسبما أعان عليه النقد والترتيب للمعلومات المتيسرة .

وأرى أن قبيلة عامر لم تحرز شأناً واضحاً بين القبائل حتى مطلع القـــرن السادس ، فقد ظلت فيما يبدو قانعة بمواطنها الطيبة ومراعيها الخصبة ، وكانت ذبيان قد سدت عليها طريق الظهور ، بل أخضعتها لنوع من التبعية المزرية حين فرض عليها الزعيم العبسى جذيمة بن زهير أن تدفع له إتاوة سنوية ، فكانت في ذلك العهد « أذل من يد في رحم » (١) . واشتط جذيمة في طغيانه وانتشى بخمرة السيادة وبخاصة حين أصبح على صلات ودية وثيقة بمملكة الحيرة . وقد استطاع خالد بن جعفر أن يتخلص من جذيمة هذا في يوم النفراوات وبذلك تبدأ عامر في الظهور . وتجتمع هوازن كلها حول زعامة خالد ، ومنذ ذلك الحين أصبح اجتماع هوازن كلها حول زعيم واحد أمراً يتكرر خلال القرن الســادس ، وتشاء الظروف أن يكون هذا الزعيم حتى مجيء الاسلام من بنى جعفر بن كلاب — قوم لبيد — .

وحين تزعم خالد قبائل هوازن اتجه نحو عقد الصلات الطيبة مع الحيرة ، وإلى ما قبل مجيء خالد بقليل نستطيع أن نقدر أن نفوذ اليمن كان ما يزال يمتد شمالا حتى يشمل قبائل معد ، وكانت اليمن حينئذ (أى منذ **٥٣٣** م) قــد أصبحت بيد أبرهة ، بعد عهد من الاضطراب ، ولعلّ ذلك الاضطراب هو الذى ساعد قبائل المنطقة الوســطى على أن تتخلص من حكامها اليمنيين . وفي

---

(١) أمالى المرتضى ١ : ٢١٢

رواية لأبي زياد الكلابي ، يؤيد بعضها ابن الكلبي ، أن قبائل الشمال اتفقت فيما بينها على أن تتخذ كل قبيلة ملكاً من اليمن ، فتولى على كل قبيلة ملك من كندة ، ثم ثارت كل قبيلة بملكها فقتلته ، وكان شراحيل بن الحارث هو ملك بني عامر (١) ، وهذه الرواية تصبح بشيء قليل من التعديل رواية تاريخية صحيحة ، إذ كانت اليمن فعلا قد فرضت سيادتها على القبائل المعدية . ولا بد أن تلك القبائل حاولت التخلص من تلك السيادة بتحريض من ملك الحيرة ، واتجاه خالد بن جعفر — ومن قبله جذيمة — إلى مملكة الحيرة ربما كان مرتبطاً بهذه الظاهرة نفسها ، وكان الاضطراب في اليمن مسعفاً لها على ذلك . فلما ملك أبرهة وجه جيشاً لغزو تلك القبائل . وقد بقي غزو أبرهة هذا مسجلا في أحد النقوش . ومما جاء فيه : « بحول الرحمن ومسيحه : الملك أبرهة ذا يمان ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها على النجد وفي تهامة كتبوا هذه الوثيقة يقررون فيها أنهم هاجموا معداً بغزوة في الربيع في شهرذى ثبتان وأنهم أخضعوا كلّ بني عامر . فعين الملك أبا جبر على كدة [كندة] قائداً للجيش ، وبشير بن حصن على سعد ، فقاتلا على رأس الجيش : كدة ضد بني عامر ؛ ومراد وسعد ضد ودّ ومرّان ... في وادى على طريق تربة .... ومن ثمّ عمرو ابن المنذر أعطى ورهن من أجلهم الرهن وقبل حكمه على معد ، فعادوا عن معد بحول الرحمن ..... سنة ٦٦٢ » (٢) .

وهذه السنة تساوى عام ٥٤٤ م . ويفهم من النص أن ملك الحيرة تدخل في هذا اليوم ففدى الأسرى وقدّم الرهائن ، ويشبه هذا أن يكون يوم خزاز الذى قال فيه أبو زياد الكلابي (العامريّ) « ويوم خزاز أعظم يوم التقته العرب في الجاهلية قال : وأخبرنا أهل العلم منا الذين أدركنا ، أنه كان على نزار الأحوص ابن جعفر . قال : ولم تزل اليمن قاهرة لها (أى لنزار) في كل شيء حتى كان يوم خزاز .... » . ومع هذا التقارب بين الروايتين تظل هناك أسئلة تحتاج أجوبة منها : لماذا كان الأحوص رئيساً على نزار دون خالد بن جعفر ، أكان

(١) ياقوت : معجم البلدان (خزاز)

(٢) S. Smith : Events in Arabia : 435 (BSOAS 1954)

ذلك بعد مقتل خالد ؟ أو كان خالد شيخاً حينئذ ؟ ثم إن النقش يذكر عمرو بن المنذر وهذا قد حكم من ٥٥٤ – ٥٦٩ فإذا كانت الواقعة سنة ٥٤٤ فإن عمراً يكون موفداً من قبل ملك الحيرة على أحسن الفروض . ثم إن المصادر الشمالية تؤكد انتصار العامريين وأحلافهم بينما يذهب النقش إلى أن معداً كانت مغلوبة ، ولكنهما يتفقان في أن هذا اليوم أبعد اليمن عن السيطرة على معد ، وجعل للمناذرة شيئاً من الحق في حماية القبائل المعدية .

وقتل خالد بن جعفر وتزعم الأحوص بنى عامر ، وأصبح ولاؤه للحيرة ، واتحدت أهداف الحيرة والعامريين ضدّ بنى دارم لأنهم أجاروا الحارثَ بن ظالم قاتل خالد . أما بنو تميم فحالفوا ملوك كندة وصاحب هجر وكان اللقاء بين الفريقين في يوم رحرحان ، فقتل فيه حنظلة قائد جيش الحيرة وانهزمت عامر ولكنهم ساقوا معهم أحد رؤساء بنى تميم أسيراً .

وبعد رحرحان تتجه الأحداث اتجاهاً عجيباً إذ كانت الحرب المريرة قد فلت عزيمة بنى عبس وذبيان ، فهام العبسيون على وجوههم فلم يجدوا من يجيرهم إلا بنى عامر أعداءهم بالأمس ، وأخذت تميم تحاول أن تثأر ليوم رحرحان ، فأقنعت الجون الكلبي ملك هجر بمحالفتها وأقبل حسان بن عمرو بن الجون في جمع عظيم من كندة ، واجتمع لتميم عدد لم يكن في الجاهلية مثله قط ، فلم يشك الناس في هلاك بنى عامر . وأقبل العامريون على زعيمهم الأحوص ، وكان شيخاً كبيراً ، يسألونه الرأى فلم يجدوا عنده رأياً واضحاً ، وكادت عامر تخطىء الخطة الصحيحة ، لولا أن بعض ذوى الرأى منها رأوا أن يدخلوا شعب جبلة وأن يضعوا النساء والذرارى والأموال في رأس الجبل ، ويفيدوا من الماء في الشعب ويتركوا المهاجمين أسفل منهم دون ماء ، وليس للجبل طريق إلا من جهة الشعب أى أنهم اختاروا خطة دفاعية لا هجومية ، وكانت خطة مستيئسة أنجحها إرسالهم الإبل معقلة بعيرين بعيرين في وجوه الغزاة حين انتشروا في نواحى الجبل ، وجعلوا يرمونهم بالنبل والحجارة ، والإبل مندفعة تحطم كل شىء تمر به وتسوق أمامها الصخور ، فانهزم الغزاة ، ولحقتهم بنو عامر يصرعونهم بالسيوف ، وقتل في ذلك اليوم سادة تميم وأسر ابنا الملك الكندى .

وليوم جبلة بين الأيام صورة مهولة ، وله في الشعر رنين عميق مجهور ولكن يظهر أن الروح القصصية قد أضافت إلى ذلك اليوم وشاحاً خيالياً ، وكانت استثارة الذكريات من بعد تضفي عليه رواءً ، فقد حدث أحد المعمرين أن الخيل في الفريقين يوم جبلة مع ما كان مع ابني الجون لم تكن تزيد على ثلاثين فرساً (١) ، ومهما يكن من أمر فقد كان انتصار عامر حدثاً ذا أثر بعيد في نفسيتها ، إذ جعل منها قبيلة مُهابة بين القبائل ، ومكن لسيادة الأحوص وابنه. وتختلف الرواة في تاريخ ذلك اليوم بين سنتي ٥٥٤ — ٥٧٦ ولكنهم يتفقون على أن لبيداً شهده وعمره تسع سنوات ، وكان قد فقد أباه قبل ذلك إذ قتلته بنو أسد في يوم ذي علق .

وازداد الشعور بالقوة لدى العامريين حتى أخرجهم عن طورهم ، فعرضوا على حسان بن كبشة الكندي أن يقضوا على بني حنظلة التميميين قضاء تاماً ويستريحوا منهم . وترأس بني عامر يومئذ عمرو بن الأحوص وجاء ابن كبشة بصنائعه ، لكن هذا الجمع الكثيف لم يستطع أن يغلب قوماً يدافعون عن أنفسهم في سبيل البقاء ، وفي يوم ذي نجب وهو على قرن الحول من يوم جبلة قتل ابن كبشة وانهزم الطفيل بن عامر — عم لبيد — على فرسه قرزل (٢) ، هزيمة عيره بها الشعراء ، وقتل عبيدة بن مالك — وهو عم لبيد أيضاً — وقتل عمرو بن الأحوص ، وعاد العامريون إلى مواطنهم يستطعمون مرارة الهزيمة وتوفي الأحوص بعد مقتل ابنه بوقت قصير حزناً وأسفاً على عمرو . وكان ذهاب هؤلاء الزعماء ممهداً لظهور زعيم جديد يقود عامراً في معاركها وذلك هو عامر ابن مالك أبو براء عم لبيد الذي بدأ نجمه يتألق منذ يوم ذي نجب — وهو يوم السؤبان — فهو الذي أنقذ البقية الباقية من بني عامر وفي ذلك اليوم حاز لقب « ملاعب الأسنة »(٣) وصار له حظ الكتيبة أجمع — كما قال الشاعر أوس بن حجر .

---

(١) المبرد : الكامل : ٣٤٩

(٢) النقائض : ٦٦٨

(٣) وقيل لقب به يوم السلان ؛ الجمهرة ١ : ٣١٦

ثم دب الخلاف بين حيين من بنى عامر هما بنو جعفر وبنو أبى بكر بن كلاب لأمور تتعلق بالجوار ، فقتل منيع الجعفرىّ واحداً من الكلابيين وكانت قبيلة غنى قد قتلت ابناً لعروة بن جعفر فأراد الكلابيون أن يبوء أحد القتيلين بالآخر (لأن غنياً كانت مجاورة لبنى أبى بكر) فأبى الجعفريون ذلك. وشبت الحرب بين الحيين ، فخذل الجعافرة ونزلوا على حكم جوّاب رئيس بنى أبى بكر فحكم بنفيهم عن بلاد عامر ، فخرجوا حتى أتوا بلاد الحارث بن كعب باليمن وحالفوهم وأقاموا لديهم حولاً .

وحين كان بنو جعفر غائبين عن قومهم كانت هناك تجمعات جديدة بين جيرانهم أسد وطيء وغطفان وضبة وعدىّ ، والظن قوىّ أن هذا التجمع إنما تمّ لإحساس القبائل أن القضاء على بنى عامر أصبح سهلا بعد غياب الجعفريين . وتقول الرواية إن تميماً كانت هدف هذه الأحلاف ، وأن تميماً استجارت ببنى عامر فذهب جوّاب لمساعدتها ، وعلى أى حال فقد خرجت عامر من هذه المعركة في يوم النسار كما خرجت حليفتها تميم في يوم الجفار بعده وهى على حال بائسة من الانخذال والضعف ، وقد غاب عن هذه المعركة أبطال بنى جعفر أمثال أبى براء والطفيل وسلمى (وإن كانت هنالك أشعار تعيّر طفيلا بالهرب في يوم النسار خلطاً له بيوم ذى نجب) (١) .

وأثناء مقام بنى جعفر باليمن أراد بنو الحارث بن كعب أن يصهروا إليهم ، ليتقووا بهم ويصبحوا معاً أعزّ العرب ، ورضيت بنو جعفر بذلك بينا كان زعيمهم أبو براء صامتاً لا يتكلم . فلما انصرف بنو الحارث « نادى عامر في بنى جعفر : لا يبقين أحد له فرس إلا ركبه ولا سلاح إلا لبسه وأخذ رمحه ، ففعلوا ، ثم نادى أن احتملوا بأثقالكم ونسائكم . ثم قال : سيروا حتى تقطعوا ثنية القهر — وهى ثنية باليمن — فاذا قطعتموها فانزلوا ، ففعلوا ، ووقف عليهم عامر حتى جاوز الثنية ثم أتاهم فقال : هل أخذت لكم دية أو أبتكم على خسف قط ؟ قالوا : لا ، قال : والله لتطيعنى أو لأتكئن على سيفى حتى يخرج من ظهرى .

(١) النقائض : ٢٤٢

وقال : أتدرون ما أراد القوم ؟ أرادوا أن يرتبطوكم فتكونوا فيهم أذنابـــا ويستعينوا على العرب ، وأنتم سادة هوازن ورؤساؤهم » (١) .ونصحهم أبو براء بالعودة إلى أوطانهم ومصالحة أقربائهم فخرجوا وفيهم عامر وطفيل ومعاوية بنو أم البنين ،وسلمى بن مالك وحنظلة وعامر ابنا طفيل وفيهم لبيد بن ربيعة ، وعادوا فنزلوا على حكم جوّاب ، فتحمـــل جوّاب دية القتيل الجعفرى ودية قتيل غنى .

وما كاد الجعفريون يعودون إلى مواطنهم حتى شكلوا وفداً فيه عامر أبو براء وأخوه الطفيل للتسليم على النعمان بن المنذر وتهنئته بالملك ، ولكنهم وجدوا عند الملك منافساً يصد وجهه عنهم فرجعوا وفي نفسهم أن ينتقموا من النعمان ، ولعلّ لهذا صلة بيوم السلان أو قاع القرنتين وكان بسبب تعرّض العامريين لتجـــارة النعمان ونهبها . وفي هذه الفترة نلمح الصداقة بين العامريين وسادة مكة حتى إنّ عبد الله بن جدعان علم أن النعمان يتآمر مع بعض شيوخ القبائل على مباغتة بنى عامر ، فكان ابن جدعان هو الذى أرسل إلى العامريين يحذرهم .

ويبدو أيضاً أن النعمان وجد أن من مصلحته الاعتمـــاد على بنى عامر في التجارة ، ولكن العامريين لم يكونوا يرضون بأقلّ من تنحية الربيع بن زياد ، وهنا يجد لبيد ألا سبيل لذلك إلا محاربة الربيع بالقول ، وتهجينه أمام صاحبه ، فينظم فيه أرجوزته المشهورة وبها يحمل النعمان على أن يبعد الربيع . وتتغير الحال فيصبح العـــامريون مقربين إلى الملك ، ويتعهد عروة الرحال العامرى للنعمان بحماية تجارته والمرور بها على جميع العرب ، ثم يتعدى البراض الكنانى على هذه التجارة ويقتل عروة نفسه ، وعندئذ ينسى بنو جعفر أنهم حمس ، وأن بينهم وبين قريش وداً وصهراً ، فيعلنون الحرب على قريش وكنانة بقيادة أبى براء وتلك هى حروب الفجار وآخرها سنة ٥٩٦ أى بعد حوالى خمس وعشرين سنة من مولد الرسول . وانتهت حروب الفجار بالصلح ، وانتهت معها زعامة أبى براء في الحرب واقتصرت على أعمال السلم . وكان هناك فتى ناشىء قد أخذ

---

(١) النقائض : ٥٣٤

يطمح إلى أن يثبت لنفسه مكانة البطل الفارس ، ذلك هو عامر بن الطفيل الذى كان أصغر سناً من لبيد ببضع سنوات ، ولم يكن سنه حين أصبح يتطلع إلى زعامة عامر يزيد ، فيما أحسب ، على اثنتين وعشرين سنة .

وكانت عامر قد أعدت لنفسها من طول تمرسها بالقتال جيشاً منظماً ، ومنسراً — وهو أصغر من الجيش — ولم يكن بد لهذا الجيش من عمل، وهذا يفسر لنا السياسة العدوانية أو التأديبية التى نهجها عامر بن الطفيل ، وإن لم تخل من عامل الطموح والغرور . فبدأ عامر بن الطفيل بغطفان يريد أن يلقنها درساً لن تنساه عن قوة بنى عامر ، فالتقى بالغطفانيين يوم الرقم فانهزم بنوعامر ، ثم كان ردّ الغطفانيين أن هاجموا العامريين في يوم ساحوق فأُصيب بنو عامر أيضاً بالهزيمة وهلك كثير منهم عطشاً وانهزم عامر بن الطفيل نفسه ، وخنق أخوه الحكم نفسه فراراً من الأسر . ثم عاد عامر بن الطفيل يحاول الانتقام فالتقى بغطفان في يوم البثاءة ولم يكن حظ العامريين في ذلك اليوم أحسن من حظهم في اليومين السابقين إذ كان عامر بن الطفيل أول منهزم على فرسه الورد، وقتل كثير من أشراف العامريين مثل البراء ابن ملاعب الأسنة . وظلت الهزائم تثير عامر بن الطفيل إلى تجديد محاولاته، ولولا تلك الهزائم لاستطاع أن ينتزع الزعامة من أبى براء ، ولكن أبا براء كان شيخاً وقوراً حينئذ ، وقد اكتسب احترام أصدقائه وأعدائه على السواء . واستطاع عامر بن الطفيل أن يسترد بعض هيبته في يوم فيف الريح — أو يوم الذهاب ، كما يسميه لبيد — فى ذلك اليوم قابل جيرانهم القدماء بنى الحارث بن كعب ، واستيأس في القتال حتى أصابه ما يزيد على عشرين طعنة وهو لا يكف عن استثارة الناس، وتميزَ من قبائل عامر قبيلة نمير كما تميزَ من الأبطال أربد أخو لبيد لأمه ، وعبيد بن شريح بن الأحوص .

وفي مطلع القرن السابع كانت الأحداث في الجزيرة تتجه وجهة جديدة ، فقد توفي النعمان بن المنذر (٦٠٢ أو ٦٠٤) وبكاه لبيد بقصيدة حزينة ، تمثل فيها زوال المجد الدنيوىّ ، وظهر في الغرب سيد جديد يدعو إلى دين التوحيد، ولم يتنبه بنو عامر لأمرهم إلا وسادة مكة قد اتبعوا صاحب هذا الدين . وبينا

كان محمد يدعو الناس إلى الإسلام ، كانت زعامة ملاعب الأسنة قد أخذت تتأرجح ، وأخذ يتطلع إليها اثنان من رجال بنى عامر هما عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة حفيد الأحوص – وامتد النزاع بين الرجلين إلى المنافرة وتحزب لكل واحد أنصاره من الشعراء فكان لبيد والأعشى مع عامر بن الطفيل ووقف الحطيئة والسندرى مع علقمة بن علاثة. وقصة هذه المنافرة مشهورة ، لأن الكتب الأدبية قد أوردتها بتفصيل ، والمقام لا يستدعى إيرادها .

وفيما كانت بنو عامر آخذة في ضروب من هذه الحياة الجاهلية زار أبو براء يثرب بعد وقعة أحد بقليل (٦٢٥ م) وكان قد سمع بالرسول ، فاصطحب معه فرسين وراحلتين هدية له ، فلم يقبل الرسول هديته وردّها متلطفاً ، « وعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد » . وأشار أبو براء على النبى أن يبعث إلى قومه نفراً من المسلمين يدعونهم إلى الدين الجديد ، وتعهد للنبى أن يكونوا في جواره ، فأرسل الرسول إلى بنى عامر سبعين من القرّاء ، وعرف عامر بن الطفيل بذلك ، فاستخف بجوار أبى براء لهم ، واستنفر بنى عامر لقتالهم فأبوا ، فاستنفر حينئذ جماعة من بنى سليم ، فتلقوا القراء وغدروا بهم وقتلوهم إلا واحداً نجا ، وقد تألم الرسول لمصير أولئك القراء ، وتألم أبو براء لأن عامراً لم يحترم عهده . وكل هذا يدل على تفكك الرأى في بنى عامر ، واضطراب أمورهم لعدم استقرار أمرهم على من يتزعمهم . ومن جراء تلك الحادثة دب التنازع بينهم ووثب ابن لأبى براء على عامر فطعنه بالرمح في فخذه فأشواه ، فوقع عن فرسه فقال عامر : هذا عمل أبى براء ، إن أنا مت فدمى لعمى فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيى ، وقد عاش عامر وذهب إلى الرسول في عام الوفود .

وتفاقم الحال بين بنى عامر ، فأخذوا على أثر تلك الحادثة يرتحلون من مواطنهم ، دون أن يروا رأى أبى براء ، فلما سألهم أبو براء كيف أخفوا أمر الرحيل عنه قالوا له : إن الناس يزعمون أنك قد خرفت ، وكانت كلمة موجعة حزن لها أبو براء ، فدعا لبيداً وطلب إليه أن يرثيه ، فارتجز له نواحاً كانت تردده إحدى القينات ، وأبو براء يشرب الخمر ، فلما ثقل اتكأ على

سيفه وهو يقول : « الموت خير من عزوب العقل » .

وأتيحت لعامر بن الطفيل فرصة يرى فيها المدينة وصاحب الدين الجديد ، وكان قومه يحثونه بقولهم « ياعامر إن الناس قد أسلموا فأسلم » (١) وهو يأبى في عناد . وفي عام الوفود ذهب وفد بني عامر إلى الرسول وفيه عامر بن الطفيل وأربد وجابر بن سلمى . ومن درس طبيعة الوفود التى وفدت في العام التاسع رأى أن وفد عامر شاذ من بينها ، فكل الوفود قد جاءت للتقرب إلا وفد العامريين فإنه جاء للمساومة والتحدّى . ولم يكن عامر بن الطفيل يرى في محمد إلا ما يراه في أى زعيم قبلىّ فعرض على الرسول أن يستقل بسيادة المدر ويستقل عامر بسيادة الوبر . وكان عامر يخشى على تلك السيادة التى عاش من أجلها أن تفلت من يده، يدلنا على ذلك قوله : « لقد كنت آليت ألا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى أفأتبع أنا عقب هذا الفتى من قريش؟ » (٢). ترى هل كان عامر يجد مستنداً لهذا الطموح ؟ أما في شخصه فقد أقرت له عامر بتلك الزعامة والبطولة . وشهدت له الروايات أنه كان أسود أهل زمانه وأنجد أهل زمانه وكان مناديه ينادى بعكاظ هل من راجل فأحمله أو خائف فأؤمنه أو ذى خلة فأجبره (٣). وأما قبيلته فكانت من الكثرة العددية بحيث يجرؤ على أن يقول للرسول : « لأملأنها عليك خيلاً جرداً ورجالا مردا ولأربطن بكل نخلة فرساً » . ونلمح هذه الكثرة العددية في قول الرسول نفسه « والذى نفسى بيده لو أسلم فأسلمت بنو عامر لزاحموا قريشاً على منابرهم » (٤) . ولكن بنى عامر كانوا يميلون إلى الإسلام ولم يكن يصدهم إلا عناد عامر بن الطفيل ، غير أن عامر بن الطفيل توفي بالغدّة منقلبه من المدينة ، وأصابت أربد صاعقة فمات ، ونسبت الروايات موتهما إلى دعوة النبي عليهما . وتأثر لبيد لفقد بطلين من بنى قومه ولكن حزنه على أخيه كان أشد . وبعد ذلك أسلمت بنو عامر ودخلت في تاريخ جديد .

---

(١) الأغانى ١٥ : ١٣١

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) فصل المقال في شرح الأمثال ، الورقة : ٦١ — ٦٢

(٤) الأغاني ١٥ : ١٣٢

- ٣ -

حياة لبيد بن ربيعة (١)

أبوه ربيعة بن مالك بن جعفر الملقب بربيعة المقترين — أو ربيع المقترين — وقد ذكره لبيد في شعره بهذا اللقب فقال (ق : ٨ ، ب : ٩)

ولا من ربيع المقترين رزئته   بذى علق فاقنى حياءك واصبرى

وتحدث عن كرمه في (ق : ٤٩) فقال :

وأبى الذى كان الأرا   مـل في الشتاء له قطينا

وقد قتل ربيعة يوم ذى علق — وهو يوم كان لبنى أسد على بنى عامر — قتله منقاد بن طريف الأسدى الشاعر (٢) ، وكان لبيد ما يزال غلاماً صغير السن، فتكفل أعمامه « بنو أم البنين » بتربيته ، وإلى هذه الكفالة يشير بقوله :

لعبت على أكتافهم وحجورهم   وليـداً وسمونى لبيداً وعاصما

أما أمه فهى تامر بنت زنباع من بنى عبس ، ويذكر لبيد نفسه أنها نشأت يتيمة في حجر الربيع بن زياد ، وتزوجت أولا قيس بن جزء بن خالد بن جعفر فولدت له أربد ، ثم تزوجها من بعده ربيعة ، فولدت له لبيداً ، وعلى هذا فإن أربد أكبر سناً من لبيد ، وكان لعطفه على أخيه الأصغر أثر كبير في نفس لبيد . وفيما بعد أصبح لبيد معجباً بفتوة أخيه من إمعان في الفروسية والكرم وإقبال على لذتى الجاهلية : الخمر والميسر ، معجباً بشدة أربد على العدو ولينه وعطفه على ذوى قرباه :

ممقر مرّ عـلى أعدائه   وعلى الأدنين حلو كالعسل

(١) هنالك رواية تصور أن لبيداً اشترك في اغتيال المنذر بن ماء السماء بمؤامرة دبرها الحارث الغسانى .وهذه رواية مغرقة في الخطأ ، لأنها تتصل برجل آخر اسمه لبيد (انظر الميدانى في «مايوم حليمة بسر») وقد جاز الوهم على ابن قتيبة فكتب ذلك في ترجمة لبيد : ١٤٨

(٢) جمهرة الأنساب : ٢٦٨

ولا ندرى كم كان عمر لبيد حين توفي أبوه ولكن الروايات تحدثنا أن عمره كان يوم جبلة — وهو بعد ذى علق — تسع سنوات أو بضع عشرة سنة، فإذا أخذنا بأول القولين وقدّرنا أن يوم جبلة يتراوح بين سنتى ٥٥٤ — ٥٧٦ كان مولد لبيد يقع بين سنتى ٥٤٥ — ٥٦٥ . وكان في يوم جبلة يقف إلى جانبه عمه عامر بن مالك ، وعمه يقول له « اليوم يتمت من أبيك إن قتل أعمامك » . وهى كلمة تدلنا على أنه كان في كفالة أعمامه وأنهم كانوا له في مقام أبيه .

غير أن لبيداً يقول في إحدى قصائده :

وعمرت حرساً قبل مجرى داحس   لو كان للنفس اللجوج خلود

والمعتقد أن مجرى داحس كان في أواسط القرن السادس أى حوالى ٥٥٠ أو قبيل ذلك أو بعيده ، وأنه مقارب ليوم جبلة في تاريخه ، حسبما استطعت أن أتبينه من دراسة الأيام . إلا أن مدلول « الحرس » عددياً غامض ، فهو يقدر بثمانين سنة وأربعين سنة ، وكلا التقديرين لا وجه له في تحديد عمر لبيد ، وإنما الحرس قطعة من العمر — قلت أو كثرت — فكأن لبيداً يقول لنا إنه ولد قبل مجرى داحس . ولو وقفت المسألة عند هذا الحد لأفادت شيئاً من التخمين ولكن اختلاف الرواية يأبى إلا أن ينقض علينا هذا القدر القليل من الحدس ، فإن هناك رواية أخرى فيها « وغنيت حرساً بعد مجرى داحس » وهى تقيس ما صار إليه عمر لبيد منذ داحس حتى تاريخ إنشائه لتلك القصيدة .

ولم يشارك لبيد في الأيام التى وقعت بعد يوم جبلة ، وإنما يشير إليها حين غدا في سن كبيرة وأخذ يعدد مفاخر قومه وانتصاراتهم . وأحسب أن أول موقف ظهر فيه هو حادثة انقسام بنى عامر وهجرة الجعفريين إلى اليمن . فقد غضب لبيد لأن جوّابا حكم على أهله بالنفى أو اضطرهم إليه وبهذا الحادث تتصل قصيدتاه (١٧ ، ٤٦) وربما كانت القصيدة (٤٢) من ذيول تلك الحادثة أيضاً . ويتجلى في (ق : ١٧) كيف يتهكم لبيد بجوّاب ويدعوه « فرخ محرق » ذا الأبواب المرتجة ، كأنه كسرى أو أحد مرازبته ، ويتهدد بالانتقام من جور جوّاب . ومن الغريب أن يشبه قومه في هذه القصيدة بأسرة حاجب

وشهاب أى بقبيلة تميم ، مع أننا نعلم أن تميماً قبل سنوات حاولت في يوم جبلة أن تستأصل العامريين ، وكيف غاب عن ذهن لبيد أن هذه شهادة لأعدائه ، ولذلك عدّ الجاحظ شعره هذا غائظاً لقبيلته رافعاً من قدر تميم(١) ولا تفسير لذلك إلا أن لبيداً كان يغيظ جوّاباً وأهله بذلك القول ، فحكاه في ساعة غضب دون أن يلتفت إلى نتائجه البعيدة .

وحزن لبيد لفراق دياره وتصور أن الديار تبكيه هو وقومه فقال :

بكتنا أرضنا لما ظعنّا   وحيتنا سفيرة والغيام

ويحدثنا الطوسى شارح ديوانه أنه قال قصيدته الرائية :

إنما يحفظ التقى الأبرار   وإلى الله يستقر القرار

حين ارتحلت بنو جعفر فنزلت بجوار بنى الحارث بن كعب ، ولكنى أرجح غير ذلك وأرى أن القصيدة قيلت بعد هجرة بنى عامر في الفتوحات الإسلامية ، لأنه يبكى فيها عامراً عامة ، ويتحسس وطأة السن ، ويتعلل بالحكمة وروح التقوى ، ويتحدث عن وقفة بنى عامر بالثغور .

وقضى لبيد فترة النفى مع أعمامه في الديار اليمنية ؛ وفي أيام الاغتراب حدثت مشكلات بين بنى جعفر أنفسهم كادت تؤدى إلى تفرقهم فكان للشاعر الشاب يومئذ موقف مذكور إذ منع الحىّ من الفرقة وأشار إلى ذلك بقوله :

ويوم منعت الحىّ أن يتفرقوا   بنجران فقرى ذلك اليوم فاقر

ومن المؤكد أن لبيداً وقف إلى جانب عمه أبى براء أيام المنفى ؛ وأبى ،كما أبى عمه ، أن يقبل صهر بنى الحارث بن كعب . وعاد بنو جعفر يعرضون أنفسهم على جوّاب ليحكم فيهم بما يراه مناسباً ، وفي هذا الموقف القائم على المهادنة قال لبيد قصيدته (٤٢) وهى تشبه أن تكون رسالة موجهة إلى قومه ، فيها ميل إلى المسالمة وعودة الوفاق ، وهى تناقض غضبته التى أعلنها في قصيدته :

---

(١) الحيوان ٥ : ١٧١

١٧ لأن الموقف الجديد استدعى تغيراً في نفسية الشاب ، ولأن الغربة قد علمته تجربة جديدة ، وأوضحت له قيمة القرابة .

وهذا الموقف من بدئه إلى منتهاه يدل على أن نجم لبيد كان في صعود وأنه أصبح يعبر عن مشاعر قبيلته . ولا بأس أن نفترض في هذا المقام أن تلك القصائد لم تكن أولى تجاربه في الشعر . بل كان يتغنى من قبل بوصف الطبيعة الصحراوية وأنه قال بعض القصائد ولم يكن شديد الثقة في نفسه منها (ق:١١، ق : ٤) . ونستطيع أن نضيف إلى هاتين القصيدتين قصائد أخرى لم يكن يعنيه فيهــا إلا إظهار فنه في وصف الطبيعة وحيواناتها البرية . إلا أن حادثاً جديداً حدّد موقفه في الشعر ، وقوّى الحوافز القبلية ، وذلك هو حادث الربيع بن زياد الذى كسب له أكبر انتصار في حياته . وليس هذا الانتصار متصلا فحسب بالأرجوزة التى أثار فيها تقزز النعمان من مؤاكلة الربيع ، وإنما يتصل أيضاً بموقف المفاخرة الذى وقفــه لأول مرة أمام أحد المــلوك وخرج منه منتصراً ، فذلك شىء أهم من الأرجوزة نفسها وأبعد أثراً في حياته الشعرية .

ويتعارض هذا التقدير مع الرواية الشائعة التى تصور لبيداً في ذلك الموقف غلاماً كان أعمامه يخلفونه في رحالهم ليحفظ لهم متاعهم، وأنه كـان حينئـــذ مبتدئاً في قول الشعر فلذلك امتحنه أعمامه بوصف بقلة (١) ، وأنهم عادوا إليه فوجدوه يكدم وسط راحلته فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين وألبسوه حلة وغدوا به معهم على النعمان فدخل عليه لبيد وهو قد دهن أحد شقى رأسه وأرخى إزاره وانتعل نعلا واحدة (٢) . وهذه رواية قيمة حقاً لأنها تدلنا على طبيعة لبيد حين كان ينظم شعراً ، ولأنها تورد الشعائر اللازمة في مواقف الإنشاد. ولكن عيبها إصرارها على أن لبيداً كان غلاماً صغيراً وجعلها رجزه في الربيع أول ما نطق به من شعر . ونحن مهما نحاول أن ننقص عمر لبيد حين أصبح النعمان ملكاً (وذلك حوالى ٥٨٢) نجد أنه لا يقل عن عشرين سنة أبداً وربما ارتفــع إلى

(١) أمالى المرتضى ١ : ١٩٠ — ١٩١

(٢) المصدر السابق نفسه .

خمس وثلاثين . فإما أن يكون الملك الذى جرت أمامه الحادثة ملكاً آخر غير النعمان ، وإما أن تكون هذه القصة قد حدثت ولبيد قد أصبح معروفاً بالقدرة على قول الشعر . وهناك تفسير ثالث : وهو أنه كان صبياً بالنسبة لأعمامه ، ولكنه في الحقيقة كان في عنفوان الشباب أو أوائل الكهولة .

ومما يقوى الرأى الذى ارتأيته رواية أخرى عن حماد الراوية تقول (١) : « نظر النابغة الذبيانى إلى لبيد بن ربيعة وهو صبى مع أعمامه على باب النعمان بن المنذر فسأل عنه فنسب له فقال له : يا غلام ، إن عينيك لعينا شاعر ، أفتقرض من الشعر شيئاً ؟ قال : نعم يا عم ، قال فأنشدنى شيئا مما قلته ، فأنشده قوله « ألم تربع على الدمن الخوالى » فقال له : يا غلام أنت أشعر بنى عامر . زدنى يا بنى فأنشده « طلل لخولة بالرسيس قديم » فضرب بيديه إلى جنبيه وقال : اذهب فأنت أشعر من قيس كلها : أو قال هوازن كلها » . وتجىء هذه الرواية بشكل آخر فتزيد أنه أنشده « عفت الديار محلها فمقامها » فقال له : اذهب فأنت أشعر العرب .

وعندى أن هذه الرواية صنو لتلك من ناحية ومكملة لها من ناحية أخرى — صنو لها لأنها تفرض أيضاً أن لبيداً كان صبياً على باب النعمان ومخالفة لها لأنها تفترض أنه كان قد قال قصيدتين أو ثلاثاً من أجمل شعره . وأول القصائد الثلاث مما يمكن أن ينسب إلى الفترة التى عاشها قبل اغترابه إلى اليمن . أما الاثنتان الأخريان فإنه قالهما بعد تميز عامر بن الطفيل . وفي الثانية يذكر يوم الذهاب ، وهو من الأيام التى كان بطلها عامر المذكور ومن الإغفال للناحية التاريخية أن يقال إن لبيداً كان حينئذ غلاماً على باب النعمان .

أما أن لبيداً كان قبل موقفه عند النعمان قد أصبح شاعراً فتؤيده رواية ثالثة تذهب إلى أنه كان يقول الشعر ويقول لا تظهروه حتى قال « عفت الديار محلها فمقامها » وذكر ما صنع الربيع بن زياد وضمرة بن ضمرة ومن حضرهم من

---

(١) الأغانى ١٤ : ٩٧

وجوه الناس (١) . وإذا جمعت هذه الروايات معاً دلت على أن موقف لبيد من الربيع تمّ بعد عهد طويل من الدربة على قول الشعر، والتاريخ يؤكد أن ذلك لم يتم قبل عام ٥٨٢ وهو العام الذى تولى فيه النعمان حكم الحيرة . أما لماذا اختار لبيد الرجز فأمر يسهل تعليله . والقول الفصل في ذلك أن الرجز جزء هام من مواقف المنافرة . وقد ظل لبيد محافظاً على الرجز حتى أواخر أيامه ، ولم تكن أرجوزته هى كل ما قاله في ذلك الموقف بل كانت أحد « الأدوار » التى تبادلها مع الربيع وأنصاره . فالرجز في ذاته لا يدل إذن على بداية الشاعرية أو على عهد القرزمة .

ونستطيع أن نفيد من القصة حقائق أخرى توضح بعض الجوانب وهى :

١ ـ أن لبيداً قبل تلك الحادثة لم يكن قد عرف بالشهرة الشعرية خارج دائرة القبيلة .

٢ ـ أن المثول بين يدى النعمان لم يكن إلا من حق الزعماء والسادة ولم يكن لبيد منهم .

٣ ـ أن أعمامه كانوا ما يزالون يرعون العلاقة بينه وبين أخواله بنى عبس فلا يطلعونه على الدقيق من أمورهم .

غير أن تلك الحادثة كانت من أشد الحوادث أثراً في نفسه وفي مستقبله لأنها فتحت أمامه مجالا واسعاً من الشهرة وجعلته لسان القبيلة وخطيبها وحاميها وفتحت له سرادقات المناذرة ، وجعلته يقف جنبا إلى جنب مع الأبطال والفرسان . وظلت أبرز حادثة يذكرها بالفخر والاعتزاز لأنه في لحظة من اللحظات تعصب لأعمامه ونسى أخواله وضحّى بهم ، وظل يشير إليها في شعره على أنها فاتحة لانتصارات أخرى ـ انتصارات سلمية كلامية تقوم على المنافرة في مجالس النعمان ؛ ويستطيع القارئ أن يراجع (ق: ٢٩ ، ق: ٢ ، ق : ٥ ، ق : ١٠ ، ق : ٢٦) ليرى كيف يعود لبيد بفخره إلى ذلك الموقف الذى وقفه يوم

---

(١) الأغانى ١٤ : ٩٣

الغبيط أو في الأفاقة أو بين فاثور أفاق فالدحل . وفي كل هذا يؤكد لبيد أن عامراً هى التي دعته لنصرها ، ولم يكن لعامر يومئذ أن تدعو غلاماً لينصرها في المقامات .

وتلك المقامات وسعت من تجربته ومنها نما عنده الشعور الحقيقي بالعظمة الدنيوية ، وفيها قايس بين المجد القبلي ومجد الملوك فانحاز بمشاعره إلى الثانى ، إذ رأى فيه العظمة الحقيقية.

وتحدثنا الروايات أنه هو نفسه كان فارساً ولكنا لا نعرف عن مدى مشاركته في أيام قومه ، لأنه ظلّ طوال العمر يميل إلى الفخر بالغلبة الكلامية والكرم ، وكانت حياته قد أخذت تخضع لتأثير جديد وهو نمو روح التدين في نفسه واقترابه من حيز العدالة في الحكم على الناس حتى ولو كانوا أعداءه . وتعترض حياته أحداث معينة تستثيره لقول الشعر ولكنا لا نستطيع ترتيبها زمنياً ، ومنها :

١ — اضطراب علاقته بعمه أبي براء لأن عمه تعدى على جار لبيد ، فغضب الشاعر وعاتب عمه (ق : ٢٨) وذكره بمآثره وفضله .

٢ — عيره أبو حفيد عقبة بن عتبة بن مالك بن جعفر بشيء لا ندريه فعرَّض به في قصيدته : ٦ وعدّد أعمامه وافتخر بأخواله ، وهذه أول مرة نراه يفتخر فيها بأخواله — ربما بعد أن تنكر لهم — .

٣ — يذكر أنه دخل مرة على « خميّر » ويقول الطوسى إنه ملك من ملوك الحبش ، أتاه لبيد فكلمه في فداء قوم فأجازه وأحسن إليه وأرسل معه من يخفره (ق : ١٧) ولعل هذا أن يكون حدث يوم كان قومه بنجران .

وفي أوائل القرن السابع (٦٠٢ — ٦٠٤) توفي النعمان بن المنذر فرثاه لبيد (ق : ٣٦) لأنه عرفه معرفة وثيقة وقام في مجالسه مرات ، ولعلنا نقدر أن لبيداً كان يتردد إلى الحيرة ولكنه كان في الأكثر يراه في متبداه بين « فاثور أفاق فالدحل ». ورثاؤه له قد يجعلنا نتساءل أين مدائحه في النعمان ؟ والجواب على ذلك أن الشاعر الجاهليّ كان يجيء بالمدح عرضاً — ما خلا الأعشى والحطيئة

والشعراء المتكسبين – وأن لبيداً لم يكن متكسباً بالشعر فلذلك لا نجد عنده مدحاً .

ويتميز رثاؤه للنعمان بنغمة دينية قوية مستمدة من مشكلة الموت وزوال العظمة الانسانية ، وقد أفاض لبيد في استثارة العبرة من الموت ولكنه أيضاً توصل إلى التأليه على نحو يشبه التوحيد فقال «ألا كل ذى لب إلى الله واسل» وقال « ألا كل شيء ما خلا الله باطل ». ثم تحدث عن عظمة النعمان ولذته في الشرب وجوده إذا شرب وعن قوة كتائبه وعاد إلى ذكرياته عن متبدى النعمان بالأفاقة ومواكبه الكبيرة التى كان يضيق عنها الفضاء ، وما كان يسوقه من تجارات ضخمة لتباع له في العرب ؛ وسأتحدث فيما يلى عن التدين عند لبيد ولكن يكفى أن أشير هنا إلى حقائق تتصل بهذه القصيدة : الأولى : أن النعمان كان نصرانيا عمد في أيام الأسقف إيشوعيب ، فهذه المرثية ذات الجو الدينى مناسبة لمقتضى الحال ، إن تجاهلنا أى شيء آخر . الثانية : أن لبيداً أنشدها بمكة ولعله اختار أن ينشدها في بعض مواسم الحج وهذا جو مناسب أيضاً . الثالثة : إن إنشاده لها بمكة وافق أوائل ظهور الإسلام ، ومشهورة هى القصة التى تتصل بعثمان بن مظعون وكيف سمع لبيداً يقول : « وكل نعيم لا محالة زائل » فقال : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول. ولكن بين إنشائها وإنشادها سنوات غير قليلة – لا تقل عن ست . الرابعة : أنها على نسق قصيدة للنابغة الذبيانى قالها في رثاء الحارث الغسانى. ومهما يكن من شيء فإن هذه القصيدة تجسم ليقظة دينية عند لبيد تتفق في التاريخ وانهيار العظمة الدنيوية في شرق الجزيرة وبدء استعلاء الكلمة الدينية في غربها .

ثم تكون الأيام التى خاضها عامر بن الطفيل غرباً وجنوباً وقد افتخر لبيد بها ، وفي بعضها أسر بنو الديان جارية له فلما عرفوا أنها له أطلقوها (ق : ٣١). وفي بعضها اصطدم لبيد بالنابغة الذبيانى ، حتى هجاه النابغة بقوله :

ألا من مبلغ عنى لبيداً   أبا الدرداء جحفلة الأتان

وفي ديوان النابغة أن هذه الخصومة وهذه المناقضة حدثتا بينه وبين يزيد بن الصعق وهو أقرب – في نظرى – إلى الصواب . وفي المعارك مع القبائل الجنوبية

اصطدم بشعراء خثعم مثل أنس بن مدرك الخثعمى ، ولأنس أبيات يخاطب فيها لبيداً (١) ولكنا لا نرى للبيد شعراً ضد أنس ، وقد التهمت تلك الأيام كثيراً من أبطال العامريين ، وذهب الطفيل وسلمى وعروة الرحال وسهيل بن طفيل وحبان بن عتبة وشريح بن الأحوص . وليس للبيد فيهم مراث مفردة إلا في الطفيل (ق : ٤٧) وعوف (ق : ٣٤) ، أما الآخرون فإنه يتحدث عن مصارعهم معاً كأنما يسرد تاريخ البطولة بسرد أسماء الأبطال ، ويتخذ هذا النهج لتهوين الموت على نفسه .

وتقوم المنافسة على زعامة عامر بين عامر وعلقمة ويقف لبيد إلى جانب الأول منهما ، وكان موقفاً محرجاً للبيد ، لأنه يفضل عامراً ولا يستطيع في الوقت نفسه أن يتنقص من علقمة ، وهوعلى مذهب أبى براء ، لا يستطيع أن يشتم أعمامه :

وأنبش من تحت القبور أبوة كراماً همُ شدوا عليّ التمائما

ولذلك كان موقفه مائعاً قلقاً وبسبب منه قال القصيدة : ٤٣ وتمخضت المنافرة عن بضع أراجيز (٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠)

وربما مضى على هذا الحادث ما لا يقل عن عشر سنوات ، ومضى على ظهور الإسلام ما لا يقل عن خمس عشرة سنة حتى نسمع أن بنى عامر بدأوا يحسون بهذه القوة الجديدة النامية التى غلبت المكيين في بدر ووقفت لهم في أحد . وقد ذكرت من قبل أن أبا براء ذهب إلى المدينة وجرّ هذا إلى يوم بئر معونة ومقتل القراء ، ثم انتحار أبى براء ونواح لبيد عليه (٥٣ ، ٦١) ولكن رواية الانتحار هذه تصطدم برواية أخرى تقول : إن أبا براء أرسل لبيداً إلى النبى بعد بئر معونة ومعه هدية يسأله أن يطب له من دبيلة « دمّل » خرجت في جوفه ، فرفض الرسول الهدية وأعطى لبيداً مدرة بعد أن تفل عليها وقال له : دفها بماء ثم اسقه إياها ، وأن لبيداً في هذه المرة أسلم إذ أقام في المدينة حتى حفظ بعض القرآن ، وكتب سورة الرحمن وعاد إلى قومه . وفي رواية أن النبى أرسل إليه عكة من عسل فشرب منها فبرأ ، وهذا يناقض الرواية التى تقول إن أبا براء

(١) معجم البلدان (حيدة)

انتحر بعد بئر معونة . وإذا كان أبو براء قد بعث لبيداً ليعتذر عما جناه عامر ابن الطفيل فليس هناك ما يستدعى رحيل بنى جعفر وإذن فليس هناك من سبب للانتحار . ثم تفترض هذه الرواية الثانية أن لبيداً كان قد أسلم بعد أحد بأشهر ، وهذا بدوره يتعارض مع رواية أخرى تقول إن لبيداً أرسل إلى الرسول بعد موت عامر بن الطفيل ، أرسله بنو عامر وقالوا له : اقدم لنا على هذا الرجل فاعلم لنا علمه . وتتفق هذه الرواية مع سابقتها في أنها تفترض مكث لبيد في المدينة مدة من الزمن لأنه أصيب بحمى وفي أثناء ذلك تعلم سورة من القرآن ورجع إلى قومه بذكر البعث والجنة والنار . وكلتا الروايتين لا تشير إلى أنه كان في الوفد العامرىّ الذى ترأسه عامر بن الطفيل. فإذا أضفنا إلى هاتين الروايتين ما جاء في (ق : ٤١) خرجنا بنتائج قد تكون معقولة :

١ ــ أن لبيداً وفد على الرسول وقومه يعانون المجاعة وأنه طلب إليه أن يدعو لهم بالسقيا ، وهذه المجاعة هى المسئولة عن تفرق بنى عامر لا حادثة بئر معونة .

٢ ــ لا مانع من أن يكون مرض أبى براء أحد الأسباب التى دعت لبيداً ليزور المدينة ، ولكن أبا براء فيما يبدو لم يجد شفاء من مرضه وأن اليأس من الشفاء حينئذ هو الذى جعله ينتحر وسواء أكان الانتحار أو الموت الطبيعى هو خاتمة حياته فإن ذلك حدث بعيد عودة لبيد من المدينة .

٣ ــ أن لبيداً أسلم في عهد مبكر أى قبل عام الوفود بسنوات ، وأخذ يدعو إلى الدين الجديد فعرّضه ذلك للذم من سراقة بن عوف بن الأحوص الذى قال له :

وجئت بدين الصابئين تشوبه بألواح نجد بعد عهدك من عهد

٤ ــ أن لبيداً لم يذهب مع وفد بنى عامر ، عام الوفود ، لأنه كان مخالفاً لابن الطفيل ومن معه في الرأى ، وإن أشارت الروايات إلى غير ذلك . فقد ذكر المدائنى أنه وفد على الرسول بعد وفاة أخيه أربد فأسلم وحسن إسلامه (١) ،

---

(١) الأغانى ١٤ : ٩٠

ولعلها وفادة ثانية ، أما إسلامه فكان قد تم قبل ذلك . وذكر الطبرى(١) أن وفد بنى كلاب وفيهم لبيد وصـــلوا المدينة سنة تسع ونزلوا دار رملـــة بنت الحارث فسلموا عليه سلام الإسلام ورجعوا إلى بلاد قومهم . فهذه الروايـــة تؤكد إسلام الوفد أى هى تتحدث عن وفد آخر غير الذى كان يرأسه عامر ابن الطفيل . ولعلّ الخطأ إنما هوفي تاريخ الوفادة فقط ، فإن الروايات الأخرى تدل على أن لبيداً ذهب إلى المدينة قبل سنة تسع . فإذا جعلنا وفادة لبيد بعد بئر معونة بقليل لم يعد بين الروايات من تناقض . وهنا نصادف رواية تقول إن لبيداً وعلقمة بن علاثة كانا من المؤلفة قلوبهم وربما كانت هـــذه الرواية تقوّى ما أذهب إليه فإن الرسول شاء أن يعد لبيداً من المؤلفة قلوبهم لأنه أسلم وقومه ما يزالون على غير الإسلام .

في تلك الفترة إذن توفى أبو براء ملاعب الأسنة ولحق به عامر بن الطفيل وأصابت أربد صاعقة ، وكان لبيد قد أصبح شيخاً وربما كان قد تجاوز الثمانين أو قاربها . وأثرت في نفسه وفاة أخيه لأمه فرثاه بالرجز والقصيد ويبلغ مجموع ما تبقى من مراثيه فيه أرجوزة واحدة وعشر قصائد (انظر القسم الثانى من هذا المجموع) وكلّ هذه المجموعة مما قاله وهو مسلم ، وبذلك تنتفى الرواية التى تدعى أنه لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً في الشعر بل إن هذا البيت نفسه ليس للبيد . ولم تكن مراثيه في أربد كلّ ما قاله في الإسلام بل يضاف إليها (ق : ١ ، ق : ٨) ففيهما يذكرأبا براء ويرثيه ويذكرفقد عامر بن الطفيل . ويضاف إلى هذه أيضاً قصائد أخرى مما قاله في الإسلام سترد الإشارة إليها فيما يلى :

وليس من المستغرب أن تكون مراثيه في أربد خالية من روح التـــدين لأن التلميح إلى النواحى الدينية قد كان يضعف طبيعة الرثاء لشخص يقوم مجده على المآثرالجاهلية ، ولذلك تحدث لبيد عن شخص أربد وعن تخرقه فيالكرم وشرب الخمر والميسر وسائر صور الفتوة ، إلا في قصيدة واحدة (هى : ٢٦) ففيها خلط الروح الدينية بصور الجاهلية ، وما ذلك إلا لأنه قالها بعد أن كاد ينسى

---

(١) تاريخ الطبرى ١٢ : ٣٢

حزنه على أربد ، وكان قد أوغل في الحياة الإسلامية إلى حد كبير .

وهاجر بنو عامر مع من هاجر في الفتوحات ، ويبدو أن لبيداً تخلف لكبر سنه ، فأحس وهو شيخ أن المواطن المحبوبة قد خلت من أهلها وتفجع على غياب بني عامر من حوله ؛ لقد مات جيلان ممن رافقهم وعاشرهم ، وها هو الجيل الثالث يذهب في الفتح . وتعبر عن هذا الشعور قصيدته (٧) وتسيطر عليها روح دينية إسلامية نستطيع أن نميزها من الروح الدينية القديمة ، فنى هذه القصيدة نسمعه يتحدث لأول مرة عن المتدينين باسم « الأبرار » ويردد المعنى القرآنى في قوله : « كل شيء أحصى كتاباً وعلماً »، ويتحدث عن الحسنات وعن الشهود الذين يكتبون السيئات والحسنات وعن المغفرة ، ولم تكن هذه كلها من عناصر التدين القديم عنده . غير أنه لم يطل به المقام وراء قومه ، فهاجر إلى الكوفة في أيام عمر بن الخطاب وقيد اسمه في ديوان العطاء بين من يأخذون ألفين . ونقل لبيد إلى الكوفة كرمه القديم فظلّ وفياً بنذره الذى قطعه على نفسه في الجاهلية وهو أن لا تهب الصبا إلا أطعم ، ولكن لا بد من أن يكون أصابه بعض التغير فإن الرجل الذى كان يعتمد في كرمه — وهو في بنى عامر — على قطعان إبله أصبح رجلاً محدود الدخل يعيش على ألفين من العطاء ولذلك كانت تمر به أوقات من الإضاقة والعسر .

وتتصل حياته حينئذ بحادثة في أيام عمر وهى عرض الخيل على سلمان بن ربيعة الباهلى ليحكم بعتقها أو هجنتها . وقد سجل لبيد هذا الحادث في أرجوزته (٥٨) التى تمثل الروح الدينية أيضاً . ثم تحدثنا الرواية أن عمر بعث إلى المغيرة ابن شعبة وهو على الكوفة يطلب إليه أن يستنشد من قبله من شعراء الكوفة ما قالوه في الإسلام فأجابه الأغلب وردّ عليه لبيد قائلاً « إن شئت ما عفى عنه — يعنى الجاهلية — » فقال : لا ، أنشدنى ما قلت في الإسلام ، فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : أبدلنى الله هذه في الإسلام مكان الشعر . فكتب المغيرة بذلك إلى عمر فأنقص عطاء الأغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد .

هل كان لبيد قد أجبل عندئذ ؟ إن لدينا قصيدتين (٢٨ ، ٤٩) مما قاله وهو يستشعر دنو المنية ، فإذا لم تكن هاتان القصيدتان مما ينسب إلى أواخر أيامه لحديثهما عن الموت فإنه لم يكن قد توقف عن قول الشعر توقفاً طبيعياً . ولكنى أرى أن هاتين القصيدتين مما قاله في عهد عمر وأن الحديث عن الموت فيهما لا يعنى أنه قالهما في أواخر أيامه ، لأنه كان يستشعر الموت منذ عهد بعيد ويترقبه ويحس بسأمه من الحياة . وعلى هذا نفترض أن شاعرية لبيد توقفت في أواخر عهد عمر ، وأنه حين سأله شعراً كان قد توقف عن قوله إلى الأبد ، وشاهد ذلك أنه عندما هبت الصبا في الكوفة ذات يوم ، في ولاية الوليد بن عقبة ، وبعث إليه الوليد مائة بكرة وندب الناس إلى مدّه بالمساعدة ، — عندئذ طلب لبيد إلى ابنته أن تجيبه شعراً ولم يجبه هو نفسه وقال لها فيما قاله : لعمرى لقد عشت برهة وما أعيا بجواب شاعر ، وهذا معناه أنه يأسف على أنه أصبح حينئذ يعيا عن قول الشعر .

وفي أثناء إقامة لبيد في الكوفة أصبح يعد في القراء لعكوفه على قراءة القرآن ، وأصبح يقضى أكثر وقته في المسجد أو في رحبة أصدقائه القدماء ، بنى غنىّ ، حيث يستلق في تلك الرحبة مسجىً بثوبه أو يضرب في الشارع وهو يتوكأ على محجن ، أو يسمر عند الوالى ، والناس من حوله يحبون أن يسمعوا منه أحاديث الجاهلية . غير أنه أصبح قليل الكلام ، قليل الفخر بما كان ، يحب أن يبتعد عن الذكريات وبخاصة ذكرياته مع الربيع بن زياد. فإذا أثاره أحد الخبثاء إلى ذكر شيء من الفخر القديم ، ذكره ثم استغفر كثيراً ؛ وكان الناس يسألونه عن أشعر العرب فيقدم امرأ القيس ويثنّى بطرفة ويثلث بنفسه، ثم يستغفر الله أيضاً بعد هذا الحكم .

ويمتد العمر بلبيد حتى أيام عثمان ، وقال الذين ذكروا أنه عاش حتى عام ٤١ هـ إنه توفي يوم دخل معاوية الكوفة وتسلم الخلافة من الحسن ، وهؤلاء يؤيدون رأيهم بأن مُعاوية أراد إنقاص الخمسمائة الزائدة في عطائه وقال له : هذان الفودان فما بال هذه العلاوة ؟ (١) ولكن لعله لم يدرك عهد على أو عهد

(١) الشعر والشعراء : ١٤٩

معاوية وإنما توفي في أيام عثمان بعد أن أوصى أن يسجى بثوب ويقبل القبلة وأن تحمل جفنتاه إلى المسجد فيطعم الناس منهما ثم يعلن موته. وتأبى الرواية إلا أن تقول إن ابنتيه امتثلتا بحرفية قوله « إلى الحول » فبكتاه حولاً ثم انصرفتا . وهاتان البنتان لعلهما بسرة وأسماء اللتان يذكرهما في شعره . ويقول صاحب الأغانى إن لبيداً لم يكن له ولد ، وإنما كان له ابن أخ يدعى أبا حنيف عهدإليه لبيد بتنفيذ وصيته الأخيرة غير أن هذه الرواية تتعارض مع أخرى تقول إن أولاد لبيد عادوا بعد هجرتهم أعرابا، وهذه الرواية الثانية ربما كانت تعنى أولاد أخيه وبعض أقربائه من بنى جعفر .

ودفن لبيد بالكوفة ، بعد أن عاش عمراً طويلا ، ليس من السهل تحديده للاختلاف الكثير في سنة ميلاده وسنة وفاته ، ولكنه في رأى المكثر مائة وسبع وخمسون سنة ، وربما لم يقل عن مائة سنة وعشر في أقل التقديرات .

— ٤ —

تدين لبيد

يعد بنو كلاب وكعب وعامر وكلب وهم بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة من الحمس لمكان أمهم مجد بنت تميم بن غالب بن فهر من قريش ويقال إن بنى عامر كلهم حمس لتحمس إخوتهم من بنى ربيعة بن عامر ، هكذا يقول ابن حبيب (١) ثم يعود فيعد قبائل عامر بن صعصعة من الحلة (٢) . ولكن لبيداً يفتخر بقومه ويسميهم بنى مجد وهذا يقرب أن يكونوا من الحمس المتشددين الذين إذا نسكوا لم يسلأوا سمنا ولم يطبخوا أقطا إلى غير ذلك من الشعائر (٣) . وهم يحلفون بالبيت الذى حجت قريش محارمه وبمنطقة حراء والأشهر الحرم

(١) المحبر : ١٧٨
(٢) المحبر : ١٧٩
(٣) انظر المحبر : ١٨٠

كشهر ذى الحجة الذى يسميه عوف بن الأحوص « شهر بنى أمية » . ويقسمون بجمال الهدى التى تنحر في موسم الحج (١)

وإني والذى حجت قريش محارمه وما جمعت حراء
وشهر بنى أُمية والهدايا إذا حبست مضرجها الدماء

ويقول عامرى آخر (٢) :

فأُقسم بالذى حجت قريش وموقف ذى الحجيج إلى إلال

وهم يؤمنون بالله ، ربما كالإيمان الذى وصفه القرآن ونسبه إلى العرب عامة ، فيقول معود الحكماء « بحمد الله » ويقول عامر « أردت لكيما يعلم الله أننى . . » ويقول خداش بن زهير « وذكرته بالله بينى وبينه » (٣) . على أن هذا الإيمان مشوب غير خالص ، فخداش الذى يذكّر بالله هو نفسه الذى يقول :

وبالمروة البيضاء يوم تبالة ومحبسة النعمان حيث تنصّرا

والمروة البيضاء هى ذو الخلصة ، وكانت القبائل القريبة إليها من هوازن تعظمها ، وتهدى لها وخاصة بنى هلال من عامر (٤) ، ونلمح في قول خداش أيضاً أثر الحيرة وشيئاً من التقدير للنصرانية ؛ ويذكر ابن حبيب أن « جهاز » كان لهوازن بعكاظ وأن سدنته من آل عوف النصريين (٥) .

من كل هذا نجد في بنى عامر مظهراً من مظاهر التدين الجاهلى عامة تختلط فيه الوثنية ببقايا من دين إبراهيم بشىء من المعرفة عن النصرانية .

---

(١) المفضليات : ٣٥
(٢) المحبر : ٣١٩
(٣) الخزانة ١ : ٩٢
(٤) المحبر : ٣١٧
(٥) المصدر السابق : ٣١٦

أما التدين عند لبيد فإنه أعمق من ذلك وليس في شعره الذى بقى ذكر لصنم من الأصنام ، ولكنه حافل بذكر الألوهية . ومعنى هذا أن تدين لبيد كان مختلفاً بعض الشيء عما كان لدى بنى عامر . ومن الصور التى يألفهـا صورة قاضى النذر ، كما أنه يورد صورة « اليهودى المصلّى » ويستغلها في شعره . وقد نعزو هذا إلى أنه تأثر بالسيادتين الشرقية والجنوبية أى الحيرة واليمن ، فإذا لم يكن هذا التأثير واصلاً إليه في منطقته على التحقيق فإن تجواله قد كفـل له شيئا من الاطلاع والمعرفة . فقد رحل كثيراً إلى الحيرة وعرف نجران ودخل على خميّر بيته – كما يقول – وفي شعره ذكر لهجر والمناظر الطبيعية من حولها ، وهجر من الأسواق المشرقية الكبرى . وتلك الرحلات عرّفت لبيداً بمظاهر كثيرة لم يكن ليعرفها لو بقى في وطنه. يضاف إلى هذا الأثر شيئان متلازمان : الأول : عمر طويل أفضى به إلى الشيخوخة والثانى إحساس دقيق بمعانى الموت والزوال . وهذان العنصران قد أضافا إلى شيء من نظرته الدينية القائمة في حقيقتها عـلى الأسى لمصارع البطولة والعظمة .

ولما عمقت هذه الروح الدينية لديه أصبحت سيطرتها على شعره قوية فحلت في كثير من الأحيان محلّ المطلع الغزلى في شعر غيره ، حتى إذا جاء الإسلام وجدت في القصيدة أو الأرجوزة موضعها الصحيح دون تردد . ولعلّى أقدر هنا أن لبيداً عاد على بعض قصائده الجاهلية بشيء من الزيادة والتحوير بعد أن أسلم فكبّر العناصر الدينية فيها ووسع منها . ولكنى لست أريد بهذا لأقلل من قوة الشعور الدينى عنده قبل الإسلام ، ذلك لأننا نجد عنده استحكام صورة « العدالة » حتى حين يكون خصماً . وهو يقول في معلقته « أنكرت باطلها وبوْت بحقها » وإذا فهمنا « بؤت » بمعنى « اعترفت » صحّ شيء من « العدالة » لا نتوقعه في مواقف الفخر الجاهلىّ .

وعلينا أن نفرق بين الروح الدينية في قصائده الجاهلية والقصائد التى قالها في الإسلام فلا ننسب كل تدين عند لبيد إلى عهد الجاهلية ، ولكن مما يجعل هذا صعباً ما افترضناه من أنه ربما عدّل في بعض قصائده وزاد فيها من بعد . كما

أنه قد يستعمل لغة دينية غريبة ، وهو في عهد الإسلام ،كقوله في قصيدة نحسبها مما قاله بعد أن أسلم :

يوم لا يدخل المدارس في الرحمـــة إلا براءةٌ واعتذار

فهذه الألفاظ قد حلّت محلها ألفاظ دينية إسلامية لا نراه يستعملها .

ولما كانت روح التدين قوية عند لبيد منذ الجاهليـة نستطيع أن نقول إن التحوّل الديني كان عنده ميسوراً لا يخلق في نفسه « عقداً » ، وهذا وحده ربما اتخذناه دليلا على أن شاعريته لم تعان « أزمة تحوّل » كالتي عاناها حسّان وأبو خراش وتمرَّد عليها الحطيئة . وهذا يكفي ليثبت أن كفّ لبيد عن قول الشعر إنما كان إجبالا ، أحدثته الشيخوخة .

— ٥ —

شعر لبيد

كان لبيد عند نفسه في المرتبة الثالثة إذ كان يقدم امرأ القيس ثم طرفة (١) . ويستشهد على تقدمه هو في الشعر بقصيدته « إن تقوى ربنا خير نفل » . وربما لهذا نفسه عده ابن سلام في الطبقة الثالثة مع النابغة الجعديّ والشماخ وأبي ذؤيب إلا أنه فضله على الشماخ في سهولة المنطق (٢) . وبينا يصفه ابن قتيبة بسهولة المنطق ورقة الحواشي تجد الفراء يقول « لبيد وابن مقبل يجريان مجرى واحد في خشونة الكلام وصعوبته » . إلا أن أبا عمرو ابن العلاء والأصمعي كان لا يريان له هذه المنزلة ، فأما أبو عمرو فيصف شعره بأنه رحى بزر (٣) ويفضل عليه خداش بن زهير ويقول : إنه أشعر في عظم الشعر من لبيد ، إنما كان لبيد

(١) الأغاني ١٤ : ٩٥ وابن سلام : ٤٥ والشعر والشعراء : ٩١ — ٩٢
(٢) ابن سلام : ١١٠
(٣) الموشح : ٧١

صاحب صفات (١) . ويقول أيضاً : إن الناس أبوا إلا تقدمة لبيد (٢) .وأما الأصمعي فوصف شعره بأنه طيلسان طبرى وقيل في تفسير ذلك : إنه جيد الصنعة وليست له حلاوة ، ولم يعده في الفحول ، ووصفه بالصلاح تهرباً من الحكم على شعره (٣) .

ومع ذلك فإنه أحد أصحاب المعلقات ، وفي رواية أن النابغة الذبياني شهد له بأنه « أشعر العرب » (٤) وسمع الفرزدق بيتاً له فسجد (٥) . وينال شعره في العصر التالى إعجاباً واسعاً ، فيغنى ابن سريج أبياتاً من معلقته والأبجر أبياتاً من إحدى مرثياته لأربد ، ويغنى حنين « بلينا وما تبلى النجوم الطوالع » ؛ وتصبح بعض أبياته أمثالا سائرة مثل « اكذب النفس إذا حدثتها » و« إنما يجزى الفتى ليس الجمل » ، ولا ينفك الناس يرددون قوله « ذهب الذين يعاش في أكنافهم » . إلى غير ذلك من شواهد الإعجاب . فأين يقف الصواب من هذه الآراء في شعره ؟ وكيف نعلل تفوقه بين عدد كبير من أبناء عشيرته كانوا معاصرين له ، وكلهم شعراء ، مثل خداش وعامر بن الطفيل والأحوص ومعاوية معود الحكماء وعوف بن الأحوص وغيرهم . وهل كان لتدين لبيد أثر في المكانة التي أحرزها في الشعر . ليست الإجابة على كل هذه الأسئلة ميسورة دائماً ولكن دعني أقيد ملاحظي متتابعة لعل القارئ يبني منها الحكم الذى يراه مقارباً :

١ ـ لقد وضح بعض النقاد موقفهم من العلاقة بين الدين والشعر فأثنوا على تدين لبيد وأنهم يحبونه لذكره الله عز وجل ولإسلامه ولذكره الدين والخير ولكنهم نفوا أن يكون لهذا كله أثر في حكمهم على شعره . إلا أننا نعلم أن هذا إن صحّ عند بعض الناس فربما لم يصح عند بعضهم الآخر . ولا ريب في أن

---

(١) الشعر والشعراء : ٤٠٩

(٢) الموشح : ١١٩

(٣) الموشح : ٧١

(٤) الأغانى ١٤ : ٩٧

(٥) الأغانى ١٤ : ٩٥

الأتقياء والذين تستهويهم النغمة الأخلاقية في الشعر كانوا يجدون بعض شعر لبيد محبباً إلى نفوسهم .

٢ ــ إذا استثنينا خداش بن زهير ، وهو شاعر محترف ، سهل أن نفسر كيف استطاع لبيد أن يتفوق على الشعراء الكثيرين المعاصرين من بنى قومه فأولئك الشعراء كانوا مقلين ، أى كانوا يقولون الشعر لرغبة عارضة أما لبيد فقد كان شاعراً محترفا أى شاعراً اختار الشعر وسيلة من وسائل الظهور في مجتمعه حين توجه غيره إلى الزعامة أو الحرب أو غيرهما ، فهو من هذه الناحية مكثر لا مقل . وإذا تذكرنا أنه كان خطيباً وراجزاً أيضاً عرفنا أنه شارك في الناحية القولية على نحو واسع جداً ، وأن الخطابة والرجز ساعدا الشعر على تمكين شهرته في هذا المضمار . ثم نستطيع بعد ذلك أن نعلل تفوقه على خداش نفسه باتساع الفنون الشعرية التى مارسها ، وكان خداش شاعر « الأيام » ، بل إن لبيداً عرف بالحكمة على نطاق واسع وفي هذا ما يفسر تقديم الناس له .

٣ ــ تختلف الزاوية التى نظر منها النقاد إلى شعر لبيد . فأنت إذا قست شعره بالشماخ بدا شعره رقيق الحواشى ، وهذا شىء نسبى لا يعنى أنه مجرد عن الخشونة أو الصعوبة ، وإنما هو في حقيقة أمره نموذج للشعر الجاهلى حين يكون صعباً خشناً وهو أيضاً محكم النسج ولكنه « رتيب » غير مثير ــ طيلسان طبرىّ . ثم إذا كنت ممن يعجبون بحكمة الحياة وجدت فيه نظرات جيدة ، أما اقبال المغنين على شعره فلأن فيه ثروة من الحزن تلائم الألحان الحزينة .

٤ ــ ولقد أتيح لجانب من شعره ، لما فيه من ثروة لفظية ، أن يكون صالحاً للاستشهاد في كتب اللغة ، وهذا جانب آخر ساعد على ترديد بعض شعره . ولكن هاهنا مشكلة حقيقية ، فإنه قد أتيح للبيد من يفسر شعره من بنى كلاب ، ممن كان العلماء يأخذون برأيهم في اللغة والغريب . ومع ذلك نجد العلماء يلجأون إلى افتراضات ويختلفون في فهم المعنى الواحد .

٥ ــ وهذا يقودنا إلى البحث عن أسباب الصعوبة في شعر لبيد . وأنا أراها ناشئة أولا من أن لبيداً كان يستغل « معجم القبيلة » إلى حد بعيد . وإذا كان

الكلابيون قد بينوا جوانب من اللهجة العامرية فهم لم يفسروا كل شيء في شعره، لأن العلماء لم يسألوهم عن كل شيء. خذ مثلا كلمة مثل «النوال» في قوله «جزعت وليس ذلك بالنوال» تجد أنها مفهومة من القرينة ولكن العلماء يختلفون في فهمها لأنهم يستمدون معناها من الاشتقاق اللفظي، مع أنه من السهل أن نفترض أن الكلمة جاءت من لهجة محلية؛ ثم يكون هناك سبب آخر لتلك الصعوبة وهو فقدان الروابط الواضحة بين أجزاء التركيب، والروابط لا تكون واضحة دون تبين العلاقات الإعرابية على نحو قاطع لا يقبل الشك. مثلا «باكرت حاجتها الدجاج بسحرة» تركيب ليس من السهل أن تستبين وجه الصواب فيه بسهولة لهذا السبب نفسه ومثله «طلب المعقب حقه المظلوم» وأشباه له كثيرة في شعره. وهذا شيء غريب حقاً لأنا افترضنا أن لبيداً كان يعرف الكتابة إذ كتب سورة الرحمن وسورة البقرة، ومن كان يعرف الكتابة روّى في القول ولم يرسله إرسالا كيفما اتفق. أما السبب الثالث فهو إغراقه في استعمال «التمثيل» أى حرصه على الطريقة البدوية — الدارجة — أى أنه يعتمد الأسلوب الذى يكنى ويومئ. فبدلا من أن يقول «قد وضعت في مضيق من الأمر فإن مضيت فيه عطبت وإن تراجعت لم تجد مخرجاً» تجده يقول:

فإن تتقدم تغش منها مقدماً　　　وبيلا وإن أخرت فالكفل فاجر

وسامعه وهو بدوى مثله يفهم هذا بوضوح. ولكن إذا انقطعت الأسباب بالبيئة التى قيل فيها هذا الكلام أصبح فهمه عسيراً، فإن القصيدة ليس فيها حديث عن الناقة ولا السياق يدل على شيء من هذا الذى يريده، ولذلك يصبح مثل هذا القول أحجية مع الزمن.

٦ — وشعر لبيد — فيما أراه — متفاوت، وهذا قد يكون من طبيعة الموضوع نفسه، فهناك بون بين قصائده التى تصف الطبيعة الجاهلية وقصائده التى تنضح بالمشاعر الدينية. والنوع الأول «كعقر الهاجرىّ» مبنى شامخ، تصف لبناته بعناية شديدة وليس فيه اللين الذى تجده في قصائده الدينية. ومن النوع الأول أروع قصائده (٢، ١٥)، واللامية المكسورة والأخرى المفتوحة. والسياق

في هذه القصائد واحد وتدرج القصائد متشابه والتنويع فيها جزئي والموضوع يكاد لايتغير فهي معرض لثروة من التعبير وشيء من الحكمة. ومما قد يعجب القارئ في هذه القصائد بناؤها المحكم وموسيقاها المتدافعة القوية وعمق الحكمة. ثم هناك نوع آخر من قصائده لا أراه إلا «جرائد» تضم الأعلام العديدة وأسماء القبائل. وليس للغزل مقام — أى مقام — في شعره، وأطول مقدمة غزلية نجدها في رائيته (ق : ٩) ولكن لونها الغزلى حائل باهت، وبخاصة إذا قارنته بوصف النخيل ومواطن المياه بين الصفا وخليج العين فإن هذا الوصف يدل على استمتاع أصيل بالطبيعة دون اهتمام كبير بمشاعر الحب. ولقد صدق الناقد الذى قال إن لبيداً كان صاحب صفات، فإن أبرز ما تفوق فيه هو صور حيوانات الصحراء ومياهها وسيولها.

٧ — أما أراجيزه فإنها كانت تؤدى غرضين من أغراض الرجز الجاهلى وهما المنافرة والنواح. ولعل أراجيزه كانت كثيرة وضاع قسم كبير منها.

٨ — هل تأثر لبيد مذهباً خاصاً أو شعراء معروفين؟ لقد رأيناه يقدم امرأ القيس وطرفة ولكن طريقته مباينة في نواحى كثيرة لهما، أما امرؤ القيس فأكثر تنوعاً وأشد إيحاء وأعمق تجربة منه وأما طرفة فأبعد جرأة وأوضح حدة وانفعالا منه، وله بعض صلات تعبيرية بامرئ القيس. وربما كان طفيل ممن أثر فيه (انظر البائية : ٢) كما أنه لا يستبعد أن تكون (ق : ٢٦) معارضة للنابغة الجعدىّ، وقد كان الجعدىّ عصرىّ لبيد إلا أنه كان أسن منه، وهما يلتقيان في جانب من التأله وروح التقوى. وليس من المصادفة أن يكون رثاؤه للنعمان مشبهاً في الوزن والروى لقصيدة النابغة الذبيانى في رثاء الملك الغسانى. وكثير من تعبيراته يتردد في شعر آخرين من شعراء الجاهلية، وتلك ظاهرة لا تدل على الأخذ وإنما تدل على قدر مشترك من التعبيرات الشائعة يومئذ. وقد عدّ ابن قتيبة(١) بعض المعانى التى سبق إليها لبيد فأخذها عنه الشعراء من بعد كالطرماح والأخطل وغيرهما وذكر أنه أول من شبه الأباريق بالبط، وأخذ عليه بعض الأخطاء.

(١) الشعر والشعراء : ١٥٣ — ١٥٦

-٦-

ديوان لبيد

عمل ديوانه أبو عمرو الشيباني والأصمعي والطوسي وابن السكيت والسكرى (١) ويفهم من تعليقات الزبيدى صاحب تاج العروس (٢) أن أبا سهل الهروى اطلع على ديوان لبيد وأنه كانت منه نسخة بخط عمر بن عبد العزيز الهمداني ، مصححة مقروءة على الأئمة (ولم يذكر من هم هؤلاء الأئمة) . وينقل البكرى في معجمه عن محمد بن حبيب في شرحه لديوان لبيد ، كما أن صاحب الخزانة قد استغل شرح الطوسى ونقل منه كثيراً . وشرح الطوسى عن شيوخه ، فهو يجمع بين رأى أبي عمرو وابن الأعرابي ويستشهد ببعض آراء الأصمعي .

وقد عثر المرحوم يوسف ضياء الدين الخالدى ، وكان أستاذاً بجامعة وين على شرح الطوسى هذا بدار الخلافة ، وحدثنا أنه في جزأين ، ولا أدرى هل هذه تجزئة الطوسى أو تجزئة النساخ أو تجزئة الخالدىّ نفسه . ونشر الخالدى عشرين قصيدة من شعر لبيد باسم الجزء الثانى لأنه لم يتمكن من قراءة الجزء الأول ؛ وهذه النسخة التى نشر عنها الخالدىّ « تمّ الفراغ من نسخها في العشرة الأواسط من شهر شوال سنة ٥٨٩ بالقاهرة المعزية » . ويصرّح الخالدى أن الجزء الأول كان يحوى المعلقة مشروحة بشرح الطوسى كذلك .

ويبدو أن نسخة الطوسىّ كانت رواية معتمدة ، وعلى أساسها أنكرت نسبة بعض الأبيات والقصائد للبيد . وأورد الرياشي قصيدة للبيد (رقم : ٤١) ثم قال إنها لم ترد فيما جمعه السكرىّ . وهذا يدلّ على تفاوت بين النسخ التى عملها كل واحد من أولئك العلماء .

وقد طبع الخالدىّ ما أسماه الجزء الثانى سنة ١٨٨٠ ووعد بأن يجمع بقية

(١) انظر الفهرست : ١٥٨

(٢) التاج : (قعل)

شعر لبيد من الكتب وينشره هو والمعلقة مع ترجمة لبيد مستخرجة من الكتب أيضاً . غير أن المنية أدركت الخالدىّ قبل أن يفى بذلك فتولى الدكتور أنطون هوبر ذلك العمل ونشر قطعة من شعر لبيد (١٨٨٧) بدأها برقم : ٢١ أى أنه أكمل بها الديوان الذى نشره الخالدى ، وكانت هذه المجموعة تنقص بضع قصائد فأضافها إليها بروكلمـــان واستوفى أبياتاً متفرقة أخرى سواء صحت نسبتها إلى لبيد أو لم تصح ، ولم يعرض للمعلقة .

وقد رأيت أن ديوان لبيد يستحق عناية جديدة ، فأخذت نفسى بنشره ، وأنا غير واثق من أننى أستطيع العثور فى فرصة قريبة على نسخة خطيـــة من ديوانه (١) . فأبقيت شرح الطوسى كما هو ، غير أنى غيرت ترتيب القصائد وقسمت الديوان فى ستة أقسام .

١ ــ ما شرحه الطوسى نفسه إلا مراثى أربد .

٢ ــ مراثى أربد مما شرحه الطوسى ومما لم يشرحه .

٣ ــ بقية القصائد التى لم يشرحها الطوسى .

٤ ــ الأراجيز .

٥ ــ الأبيات المتفرقة .

٦ ــ أبيات ومقطعات منسوبة للبيد .

وقد تناولت بالشرح القصائد التى لم أجد للطوسى شرحاً عليها وكانت خطتى أن أرجع إلى ما قاله الأئمة أو ما نقل من شروح قديمة . وسيجد القارئ أنـــى

---

(١) فى دار الكتب نسخة خطية رقم ٦ ش غير مشروحة وقد قابلت عليها قصائد الديـــوان ، ولكنى لم استطع أن أعتمدها أصلا . وهى تحتوى ٤٧ قصيدة ومقطوعة وتسير حسب الترتيب الأبجدى إلا أن حرف الدال فيها وقع فى آخرها . أما نسخة التيمورية : ٩٧٧ فما أراها إلا صورة أخرى من شرح الطوسى ج : ٢ أى القسم الذى نشره الخالدى .

– مثلا – أنقل عن ابن قتيبة في المعاني الكبير وأستخرج الشروح التي تضمنتها خزانة البغدادي وأنني مزجت في المعلقة بين شرحي التبريزي والمرزوقي على نحو موجز ولم أحاول أن أتولى الشرح بنفسي إلا حيث فقدت العون من المصادر. وقد أسعفني تخريج الأبيات على استقصاء بعض المعاني من نواحي كثيرة، إذ كان تخريجي للأبيات جزءاً هاماً من هذا العمل. غير أني أقر بعجزي عن حل بعض المشكلات التي اعترضت طريقي.

إن حماستي لأجعل شعر لبيد قريباً من أيدي القراء والمشتغلين بالأدب العربي هي التي حملتني على بذل الجهد الكثير في سبيل هذه الغاية، وإني لأشكر لدائرة المطبوعات والنشر بحكومة الكويت أن أتاحت لي الفرصة للتعبير عن هذه الحماسة، وذلك عندما وكلت إليّ أمر تحقيق شعر لبيد والتقديم له. وبالإضافة إلى هذا فإنها بعملها هذا إنما تقدم – في رأيي – خدمة طيبة للتراث العربي تحمد عليها.

والله أسأل أن ينفع به، وأن يتجاوز عن سيئاتي فيه.

احسان عباس

جامعة الخرطوم في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٨

تذييل على المقدمـــة :

مضى على ما كتبته في مقدمة هذا الديوان ما يزيد على سنتين حين بلغنى أن أحد الباحثين المحققين بدمشق — وهو الدكتور عزت حسن — قد عثر على نسخة خطية من ديوان لبيد، فتلطف أخى وصديقى الاستاذ أحمد راتب النفاخ واتصل بالدكتور عزت وحدثه بشأن الديوان ، فأبدى الدكتور — مشكورا — استعداده لبيع صورة من النسخة التى يملكها، فابتاعها أخى راتب منه وأرسلها لى. ولما تأملت النسخة وجدتها تشبه الى حد كبير نسخة ٦ ش المحفوظة بدار الكتب المصرية التى أشرت اليها في هذه المقدمة (هامش ص : ٣٩) — تشبهها في ترتيبها وما فيها من نقص ، فلم يرد فيها من القصائد البائية الا بعض القصيدة الثانية على الصفحة الأولى ثم سقط سائرها وسائر القصائد البائية وبعض القصائد الرائية وجاءت القصائد الدالية في آخرها .

وهذه النسخة — حسبما ذكر الدكتور عزت في مقدمته عـــلى ديوان بشر ابن ابى خازم — تحمل رقم ٢٢٦٢ وهى محفوظة في دار الـــكتب في جوروم بتركية — وجوروم مدينة نائية في هضاب الأناضول في الوسط وتقع الى الشمال الشرقي من أنقرة . وهى تحوى عدة دواوين في ٣٦٢ ورقة من القطع الصغير وأولها ديوان لبيد ويشغل الورقات ٢ — ٣٤ ؛ وهى مكتوبة بخط نسخ جميل دقيق مشكول ، والضبط فيها حسن ، ولا يعرف تاريخ نسخها على التحقيق ولا اسم ناسخها .وعلى هوامشها وبين الأبيات تعليقات كثيرة بخط مختلف عن خط الاصل وأبلغ منه في الدقة ، ولم أستفد من هذه التعليقات لأن أكثرها مستخرج من المعاجم . ولدقة هذه النسخة وحسن ضبطها وقدمها النسبى اعتمدتها في القراءة والتحقيق ورمزت لها بالحرف (م) ، وقد تبين لى بالمقارنة أن الخلافات التى تستقل بها هذه النسخة قد ذكرت في شروح الطوسى ؛ وتكاد هذه القراءات المستقلة تطابق رواية ابن الاعرابي في أكثر الاحوال ، وهـــذا

ما منح النسخة (م) في نظرى قيمة جديدة ، فهى تمثل رواية معتمدة لديوان لبيد ، وهى بكل هذا تفضل النسخة (٦ ش) التى أهملتها لحداثة خطها وعدم معرفتى الأصل الذى أخذت عنه .

وهذا هو ترتيب القصائد في (م) :

[٢ ، ٧ ، ٢٨ (٢ من القصائد المنسوبة)، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩،٥٥ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٢٥ ، ١٠ ، ٢٤ ، ٥٩ ، ٥٨ (٣ من القصائد المنسوبة) ، ٣٢ ، ٣٣ (في قطعتين) ، ٢٦ ، ١١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٣٧ ، ٣٨، ٦٠ ، ٤٨ ، ١٥ ، ١٤ ، ٤٤ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٧ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧، ٤٣ ، ٦١ ، ١٦ ، ٤٩ (٨٤ من المتفرقات) ، ٥٠ ، ١٨ ، ٥ ، ٦]

ومجموع هذه القصائد والمقطوعات خمسون .

لقد جدّت في خلال الفترة التى مرت بين إنهاء التحقيق في هذا الديوان والبدء في طباعته ملاحظات وتخريجات وتعليقات كثيرة ، أدرجت بعضها في ملحق وتركت بعضها الآخر دون أن أدرجه في مواضعه ، فإن التدخل الكثير في سياق كتاب قد صفّت حروفه يولد مشقة بالغة واضطرابا كثيرا ، وإنى إذ أحتفظ بهذه الفوائد والملاحظ لفرصة أخرى لن أنسى أن أتقدم بشكرى لإدارة المطبوعات في الكويت وللقائمين على شئون المطبعة الحكومية فيها على ما بذلوا جميعا من عناية بهذا الديوان ، وأوفر الشكر وأتمه لأخى أحمد راتب النفاخ الذى شمل هذا العمل برعايته الصادقة وعطفه الأخوى في كل خطوة .

احسان عباس

بيروت في أيار ١٩٦١

شِعر لبيد

القسم الأوّل

قصائد لبيد بشرح الطوسى

ما عدا أربعاً في رثاء أربد